

أهمية العمل في الإسلام



- العمل في اللغة:

ذكرت لهذه المادة معانٍ كثيرة واستعمالات متعددة توجد في قواميس اللغة ومعاجمها، والمهم أن العمل موضوعاً للمهنة، واطلاقه على غيرها أما مجاز أو حقيقة من باب الاشتراك اللفظي ولا يهمننا تحقيق ذلك إذ لا يترتب عليه أثر مهم.

- العمل في القرآن:

وردت في القرآن الكريم (360) آية تحدث عن العمل ووردت (190) آية عن (الفعل) وهي تتضمن أحكاماً شاملة للعمل، وتقديره ومسؤولية العامل وعقوبته ومثوبته. ولا بد لنا من عرض بعض الآيات التي حثت على العمل الصالح الذي يترتب عليه الثواب والمغفرة من الله كما لا بد من عرض الآيات الأخرى التي حثت على

1- العمل الصالح:

قال الله تعالى: (وَمَنْ أَوْحَسنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت/ 33). وقال تعالى: (إِنَّ السَّادِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) (الكهف/ 107). وأيضاً: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْذِرَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل/ 97). وأيضاً: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْذِرَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُطْلَمُونَ نَقِيرًا) (النساء/ 124).

وقال الله تعالى: (وَالسَّادِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) (النساء/ 122). وقال تعالى: (وَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهَ فَلَا يَعْملْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُحْذَرُ) (الكهف/ 110). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (المؤمنون/ 51). وقال تعالى: (وَإِنَّ رَبِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (طه/ 82). وقال تعالى: (السَّادِّينَ يَدْخُلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء/ 9). وقال الله تعالى: (السَّادِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّنَاهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (الروم/ 45).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي دعت الناس إلى العمل الصالح وحفزتهم إلى كسبه والتسابق إليه، وانه خير ما يكتسبه الإنسان في حياته فإنَّه ذخره في آخرته وشرف له في دنياه.

2- الحث على الكسب:

لقد أعلن القرآن الكريم دعوته الأكيدة على ضرورة العمل، وعلى الكسب، وبذل الجهد قال الله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْهُ فَضْلَ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة / 10). إن المنهج الإسلامي يتسم بالتوازن بين العمل لمقتضيات الحياة في الأرض، وبين العمل في تهذيب النفس، والاتصال بالله تعالى وابتغاء رضوانه، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...) (القصص / 77)، إنه ليس من الإسلام في شيء أن يتجه المسلم بجميع قواه وطاقاته لتحقيق متع الحياة، والظفر بملاذها وينصرف عن الله، وكذا لا يتجه نحو عمل المثوبة فحسب بل عليه أن يعمل لدنياه وآخرته معاً.

إن القرآن الكريم قد دعا الناس إلى العمل، وحثهم عليه وحتم عليهم أن يكونوا إيجابيين في حياتهم يتمتعون بالجد والنشاط ليفيدوا ويستفيدوا، وكره لهم الحياة السلبية، والانكماش والانزواء عن العمل، قال تعالى: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك / 15).

إن الله تعالى خلق الأرض، وملأها بالنعيم والخيرات لأجل أن يعيش الإنسان في رفاهية وسعة قال تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ الْمُمِيتَةِ أَحْيَايْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يُأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) (يس / 33-35)، ولن يظفر الإنسان بهذه النعم إلا بالعمل والجد والكسب.

- العمل في السنة:

واستفاضت كتب الحديث والأخبار بالدعوة إلى العمل والحث عليه كما أضفت عليه أسمى النعوت والأوصاف.

أ. العمل شرف:

إنَّ العمل وان هان فإنَّه شرف للإنسان، وكرامة، وخير له من أن يسأل الناس ويعيش كلاًّ عليهم وإلى ذلك يشير الحديث الشريف: "لئن يأخذ أحدكم حبله، فيذهب به إلى الجبل فيحتطب ثمَّ يأتي به فيحمله على ظهره خير له من أن يسأل الناس".

ويقول الرسول (ص): "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" إنَّ الإسلام لا يرضى للمسلم أن يعيش حالة على الغير، ولا يسمح له أن يترك الكسب ويتكل على الدعاء ليرزقه الله من غير عمل، فقد جاء في الحديث الشريف: "إنَّ الله يكره العبد فاعرا فاه يقول: يا رب ارزقني".

إنَّ الله تعالى خلق الأشياء ورطبها بأسبابها الطبيعية، وليس للإنسان أن يترك ذلك لأنَّه يلزم منه الاخلال بالنظام وعدم استقامة الحياة.

ب. العمل جهاد:

إنَّ الإسلام يعتبر العمل جهاداً في سبيل الله، ويعتبر الجهد الذي يبذله المسلم في سبيل إعانة عائلته من أفضل الطاعات والقربات فقد روى زكريا بن آدم عن الامام أبي الحسن الرضا (ع) انه قال: "الذي يطلب من فضل الله ما يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله".

ج. العمل عبادة:

وأضاف الإسلام إلى العمل أكرم النعوت والأوصاف فجعله عبادة وطاعة لله ليتسابق المسلمون إلى ميادين العمل والانتاج فقد ورد ان صحابييين جاءوا إلى رسول الله (ص) وهما يحملان أخاً لهما، فسألهما النبي (ص) عنه فقالا: إنَّه لا ينتهي من صلاة إلا إلى صلاة، ولا يخلص من صيام إلا إلى صيام حتى أدركه من الجهد ما ترى.

فقال (ص): فمن يرعى أبله، ويسعى على ولده؟

فقالا: نحن

فقال (ص): أنتم أعبد منه.

وسأل الامام الصادق (ع) عن رجل، فقيل أصابته الحاجة، فقال (ع):

- فما يصنع اليوم؟

- في البيت يعبد ربه عز وجل.

- فمن أين قوته؟

- من عند بعض إخوانه؟

- وإني الذي يقوته أشد عبادة منه.

د. العمل سيرة الأنبياء:

إنَّ العمل من سيرة النبيين والمصلحين، ويكفي العامل فخراً وشرفاً أنه ما بعث نبيٌّ إلاَّ كان عاملاً كادحاً فقد روى الامام الصادق (ع) عن جده أمير المؤمنين (ع) أنه قال: "إنَّ إياي أوحى إلى داود (ع) يا داود إنَّك نعم العبد لولا أنَّك تأكل من بيت المال، ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود أربعين صباحاً فأوحى إياي إلى الحديد أن لبيَّ لعبدي داود فلان له الحديد فكان يعمل في كل يوم درعاً".

لقد كره إياي لعبده ونبيه داود أن يكون عاطلاً ويأكل من بيت المال من دون أن يكسبه ويأكل من ثمرة أتعابه فألأنَّ له الحديد فكان يعمل فيه ويقتات من عمله.

هـ. رد دعاء تارك العمل:

ونظراً لخطورة العمل وأهميته في الإسلام فقد ذمّ تارك العمل وتوعده بعدم استجابة دعائه في طلب الرزق، فقد أثر عن النبي (ص) انه قال: "إن أصنافاً من أمتي لا يستجاب لهم دعاء، وهم: رجل يدعو على غريم له ذهب بماله فلم يكتب له ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في بيته، ويقول: يا رب ولا يخرج، ولا يطلب الرزق، فيقول الله عز وجل عبيد أجعل لك السبيل إلى الطلب والتصرف في الأرض بجوارح صحيحة، فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لإتباع أمري ولكيلا تكون كلا على أهلك فإن شئت رزقتك، وإن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي".

إنّ الله قد منح الإنسان من الطاقات والقوى وأمره، بأن يستعملها لطلب معيشته، وأما ترك الكسب والاتكال على الدعاء فإنّه ليس من الإسلام في شيء، وقد حذر أئمة أهل البيت (ع) شيعتهم من ذلك فقد روى علي بن عبدالعزيز أنّ الإمام الصادق (ع) قال له ما فعل عمر بن مسلم؟

جعلت فداك، أقبل على العبادة، وترك التجارة.

فتألم الإمام (ع) وأزعجه ذلك، واندفع يقول: ويحه أما علم أن تارك الطلب لا تستجاب له دعوة، إن قوماً من أصحاب رسول الله (ص) لما نزلت الآية: (.. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...) (الطلاق/ 2-3)، اغلقوا الأبواب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كفينا الطلب، فبلغ ذلك النبي (ص) فارسل إليهم فلما مثلوا عنده قال لهم: ما حملكم على ما صنعتُم؟

فقالوا: يا رسول الله، تكفل الله لنا بأرزاقنا، فأقبلنا على العبادة.

فنهرهم (ص) وقال لهم: "إنّ الله من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب".

وقد دل هذا الحديث الشريف على مدى الأهمية البالغة للعمل في الإسلام، وإنّ الله لا يصح من المسلم أن يتركه وينصرف إلى العبادة، أو يلتجئ إلى الدعاء وسأل عمر بن يزيد الإمام الصادق (ع) قال له ان رجلاً قال "لأقعدن في بيتي، ولأصليّن ولأصومن، ولأعبدن ربي عز وجل" فأما رزقي فسيأتيني".

فقال الامام (ع): "هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم".

وسأل العلاء بن كامل الإمام الصادق (ع) أن يدعو له ﷻ في أن يرزقه، ويوسع عليه.

فقال له الإمام (ع): "لا أدعو لك اطلب كما أمرك ﷻ".

ويقول الإمام أبو جعفر محمد الباقر (ع): "إني أجدني أمقت الرجل يتعذر عليه المكاسب، فيستلقي على قفاه، ويقول اللهم ارزقني، ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل ﷻ، والذرة تخرج من جحرها، تلتمس رزقها.

وبهذا المعنى وردت أخبار كثيرة من أهل البيت (ع) تدعو المسلمين إلى العمل في حقل هذه الحياة، ودم تاركة والمعول على العبادة والمنصرف إلى الدعاء لأنّه بذلك يكون كلاً على المجتمع وعالة على الغير.

و. النهي عن الكسل:

ونهى الإسلام عن الكسل لأنّه موجب لشل الحركة الاقتصادية وتجميد طاقات الإنسان وفساد المجتمع، ويعود بالخسارة الكبرى على الناس وقد ورد في الأدعية المأثورة عن أئمة الهدى بالتعوذ منه فقد جاء في الدعاء "اللهم إني أعوذ بك من الكسل والسأم والفترة والملل" ووردت أخبار كثيرة وتنهى عنه فقد قال الإمام الصادق (ع) لبعض أصحابه: "إياك والكسل والضجر، فانهما مفتاح كل سوء انه من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق".

إنّ الإسلام يكره الكسل ويحرم البطالة، ويمقت صاحبها لأنّها تؤدي إلى فقره وسقوطه، وذهاب مروءته، واستخفاف الناس به فإن من يتصف بها يكون في حكم الموتى لا تفكير له ولا تدبر، وكان السلف الصالح لا يألفون الراحة، ولا يخلدون إلى السكون والبطالة، قد أقبلوا على العمل والتجارة، وقد عرض الإمام الصادق (ع) على أصحابه سيرتهم وجهدهم في العمل وإقبالهم عليه قائلاً: "لا تكسلوا في طلب معائشكم فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها".

إنّ الإسلام يدعو إلى الجد والنشاط، وإلى الانطلاق في ميادين العمل من أجل حياة حرّة كريمة تعمها الرفاهية، ويسود فيها الخير. لقد حث الإسلام على العمل، ونعت العمال بأنّهم أحباء ﷻ وأوداؤه فقد

جاء في الحديث: "إنَّ اِ يَحِبُّ العبد يتخذ المهنة ليستغني عن الناس" وفي حديث آخر "إنَّ اِ يَحِبُّ المؤمن المحترف، ويكره المكفي الفارغ" إلى غير ذلك من الأخبار التي تضافرت بها كتب الحديث وقد دلت بوضوح على الأمر بالعمل والنهي عن البطالة والكسل.